رعاية البيئة وبعدها المقاصدي في الشريعة الإسلامية

Caring for the environment and then the objectives in Islamic law

د.جزول صالح [*1]

[1]المركز الجامعي – مغنية – الجزائر Salah.djazoul@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/12/08 تاريخ القبول: 2022/05/14 تاريخ النشر: 2022/06/02

ملخص :

لقد أولت الشريعة الإسلامية موضوع البيئة اهتماما كبيرا من خلال ربط القرآن الكريم باستمرار الإنسان بالكون ودعوته إلى التفكر والتأمل في سائر المخلوقات بما فيه الإنسان نفسه وذلك بما أوتي من علم وحواس ميّزه الله بها على سائر المخلوقات .ولعل الهدف من هذه الورقة البحثية هو إبراز فلسفة الشريعة الإسلامية ومنهجها في المحافظة على البيئة ،وإبراز ارتباط رعاية البيئة بمقاصد الشريعة الإسلامية الكبرى من المكلفين ، وبمصالحهم الضرورية.وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن البيئة مرتبطة بمقاصد الشرع من الخلق و أن الإنسان مدعو في منهج الشريعة الإسلامية إلى استثمار ما في هذا الكون وتسخير جميع منافعه تحقيقا لمصالحه ولمقاصد الشرع من الخلق دون أيّ تعدّ أو ظلم.

الكلمات المفتاحية : رعاية البيئة – البيئة والمقاصد الضرورية – البيئة في الشريعة الإسلامية.

Abstract:

The Islamic law. has given the issue of the environment great attention by always and continuously linking the Holy Qur'an to the human being with the universe and calling him to contemplate and meditate on other creatures, including the human being himself. Islamic law. and its approach to preserving the environment, and highlighting the link between environmental care and the major purposes of Islamic Sharia by taxpayers, and their necessary interests.

This study has concluded that the environment is linked to the Shariah purposes of creation, and that man is called upon in the Islamic

[*] المؤلف المرسل

law.approach to invest, what is in this universe, and harness all its benefits to achieve his interests and the Shariah purposes of creation without any transgression or injustice.
Keywords: caring for the environment - the environment and the necessary purposes - the environment in Islamic law.

1. مقدمة:

يعتبر موضوع البيئة من المواضيع الحديثة التي يشتغل عليها الحقوقيون والباحثين في العالم ، فقد أصبحت البيئة تفرض نفسها في عالم يعيش وسطها وينعم بخيراتها ومواردها ، وهو مرتبط بها وملازم لها في كل مكان وزمان ، فكان لزاما على الإنسان الذي هو جزء من هذه البيئة أن يرعى نفسه برعاية البيئة ، وذلك بالمحافظة عليها من جانب الوجود ، بتنميتها ، وإصلاحها، ووخلق كل ما يجعلها تنعم على الإنسان مما تذريه من مواردها المختلفة ، كما يتعين المحافظة عليها من جانب العدم بزجر كل من يعتدي عليها أو يمس نموها الطبيعي .ولذلك السبب نجد المجتمع الدولي قد عقد عدة اتفاقيات ومؤتمرات دولية وإقليمية كلها تصب في ضرورة حماية البيئة في زمن طغت عليه أنانية الإنسان وجشعه ، فأصبح يستنزف البيئة وموردها دون مراعاة للأجيال وحقهم في هذه البيئة ، كما أصبح يلوث تربة أرضها ومياهها وهواءها بمختلف الصناعات ، والتجارب النووية ،وغيرها من المؤثرات الضارة بعناصر البيئة وتوازنها .

وإذا كانت القوانين الحديثة دولية كانت ،أو وطنية قد تفطنت إلى مخاطر الاعتداء على البيئة إلا حديثا ، فإن الشريعة الإسلامية قد نبهت إلى ذلك منذ أزيد من أربعة عشر قرنا ، في القران والسنة النبوية الشريفة ،وما قوله عز وجل "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ "[1] ، وقوله تعالى أيضا "والْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُ "[2] ،وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ

[1]- سورة الروم آية 41.

[2]- سورة النازعات آية 30-31-32.

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ، وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا" 1، وقوله تعالى " هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "2 .

فهذه الآيات وغيرها كثير إلا دليل قاطع على اهتمام الشريعة الإسلامية بالبيئة بمختلف عناصرها، وتذكيرها للإنسان وتنبيهها له بضرورة الحفاظ على هذه النعم لأن خلقها كان كله لمصلحة الإنسان ، فوجب الاعتناء بها وعدم الاعتداء عليها ، و لأن لهذا الكون أبعاد مقاصدية كبرى على رأسها إفراد الله في ربوبيته وإلوهيته من خلال التأمل في ملكوت الله وخلقه ،ومقصد خلافة الله في الأرض و إعمارها .

كما أن جلب المصلحة ودفع المفسدة مقاصد الخلق ،وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم ، فمقصود الشرع من الخلق كله هو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ،فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة3 .ولا شك أن كل ما جاء يتعلق بالبيئة وعناصرها في القرآن والسنة له أبعاد مقاصدية ،تقتضي من الإنسان أن يدركها من أجل رعايتها والمحافظة عليها ، لأنها مدار حياة الإنسان في الدنيا والآخرة ، ولابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ،بل على فساد و تهارج وفوت حياة ،وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم ،والرجوع بالخسران المبين4.

ولعل أهمية هذه الورقة البحثية تكمن في إبراز منهج الشريعة الإسلامية للحفاظ على البيئة ،و الأبعاد المقاصدية لرعايتها ،ومدى ارتباطها بمقصد الشرع من الخلق ،وذلك كله من أجل بيان مكانة البيئة وأهميتها في تحقيق مصالح الإنسان في المعاش والمعاد ، وضرورة التفكير في إيجاد الآليات الشرعية لحمايتها والمحافظة عليها وجودا وعدما،تحقيقا لمقاصد الشرع من خلق الكون بما فيه الإنسان.

---

[1]- سورة ق آية 7

[2]- سورة النحل آية 10-11.

[3]- الغزالي ، أبو حامد ، المستصفى ، تحقيق ،محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ،ط1 ، 1993م ،ص 174.

[4]- الشاطبي ،أبي إسحاق الشاطبي ،الموافقات في أصول الشريعة ،المجلد 1 ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 3 ،2003م ، ص7.

وعليه فإن هذه الورقة البحثية تتمحور حول المحاور التالية:

المحور الأول :حقيقة البيئة في الشريعة الإسلامية.

المحور الثاني :البعد المقاصدي للبيئة.

2. حقيقة البيئة في الشريعة الإسلامية

1.2 تعريف البيئة.

2 . 1.1 تعريف البيئة لغة : البيئة لغة من "بوأ" المباءة: منزل القوم في كل موضع ، يقال تبوَّأْتُ منزلاً: أي نزلتُه، وبوَّأت للرجل منزلاً وبوّأته منزلاً بمعنى، أي هيَّأته ومكَّنت له فيه.1 وقال الفراء في قوله عزل وجل " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا"2 يقال بوأته منزلًا، وأثويته منزلًا ثواءً: أنزلته، وبوأته منزلًا أي جعلته ذا منزل. وفي الحديث "من كذب عليّ متعمدا ،فليتبوأ مقعده من النارّ". وباءت ببيئة سوء، على مثال بيعة: أي بحال سوء، وإنه لحسن البيئة، وعم بعضهم به جميع الحال3.

فالبيئة من معانيها في اللغة ، المنزل ،والموضع ،والمكان ، والمحل.

2 .1. 2 تعريف البيئة اصطلاحا: ونقصد به اصطلاح المشرع الوضعي وفقهاء القانون ، واصطلاح فقهاء الشريعة الإسلامية.

أ- البيئة في اصطلاح القانون :

1-البيئة في اصطلاح القانون الدولي:

[1] - الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،ج1 ، دار العلم للملايين – بيروت ،ط4 ،1987 م ،ص37.

[2]- سورة العنكبوت آية 58.

[3]- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على ، لسان العرب، ج1 ، دار صادر – بيروت ،ط3 ،سنة 1414هه ،ص39 .

لقد عرّف مؤتمر ستوكهلم البيئة1 بأنها " رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته 2" ، وحسب مبادئ إعلان ستوكهلم للبيئة فإن البيئة هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان والذي يشمل البيئة الطبيعية بما فيها موارد الأرض المتمثلة في الهواء والماء ،والنباتات ،والحيوانات.3

2- البيئة في اصطلاح القانون الجزائري:

لم يعط القانون الجزائري تعريفا محددا للبيئة ،وإنما اكتفى ببيان مكونات البيئة حيث جاء في المادة 4 من القانون المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة4 ، أن البيئة تتكون من الموارد الطبيعية اللاحيوية والحيوية ،كالهواء والجو والماء والأرض ،وباطن الأرض والنبات والحيوان بما في ذلك التراث الوراثي ،وأشكال التفاعل بين هذه الموارد وكذا الأماكن والمناظر والمعالم الطبيعية.5

كما عرّف النظام البيئي بأنه مجموعة ديناميكية مشكلة من أصناف النباتات والحيوانات وأعضاء مميزة وبيئتها غير الحية والتي حسب تفاعلها تشكل وحدة وظيفية.6

ب-البيئة في اصطلاح الشريعة الإسلامية:

لم تعرف الشريعة الإسلامية ،ولا فقهاؤها مصطلح البيئة ،الذي تناوله القانون والمهتمين بالمحافظة على البيئة حديثا ، غير أن مكونات البيئة بالمفهوم الذي جاء به المصطلح له أصل وجذور في الشريعة الإسلامية فقد تحدث الله تعالى على الأرض و والجبال وعلى السماء والرياح، والماء والنبات والحيونات ، الموجودة على الأرض ،ما جعل البعض يرى أن القرآن استخدم الأرض للدلالة على المحيط ،أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان ،و هي شاملة ما عليها من جبال وسهول وما فيها من نباتات وحيوانات ، وما

---

[1]- عُقد مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة البشرية في استكهولم في الفترة من 5 إلى 16 جوان 1972 ، تضمن إعلان ستوكهولم حول البيئة ديباجة و 26 مبدأ.

[2]- https://political-encyclopedia.org/dictionary/ مؤتمر ستوكهلم للبيئة 1972.

[3]- ينظر مبادئ إعلام ستوكهولم من 2 إلى 7.

[4] - القانون 03-10 المؤرخ في 19 جويلية 2003م ، ج ر ، لسنة 2003م ، عدد 43.

[5] - المادة 4 فقرة 7.من القانون 03-10.

[6]- المادة 4/ف6. من القانون 03-10.

حولها من كواكب وأجرام.بل يرى هؤلاء أن الأرض أدق تعبيرا وأكثر تحديدا للمعنى الاصطلاحي المراد بالبيئة الطبيعية ،ذلك لأن الأرض إطار لأنظمة بيئية متكاملة ، تهيء للإنسان ولغيره من الكائنات الحية مقومات الحياة وعوامل البقاء1.

ومن التعريفات التي حاول البعض2 إعطاءها للبيئة من منظور إسلامي هي أن البيئة " كل ما يحيط بالإنسان مما هو محسوس من مكونات السماء والأرض".وأن البيئة هي " المحيط الذي يعيش فيه الإنسان وتشمل البيئة الجامدة والبيئة الحية"3

ولعل التعريف الذي نراه شاملا مانعا للبيئة و يتماشى ما وراء هذه الورقة البحثية هو أن " البيئة وحدة متكاملة تشمل كل العناصر الطبيعية الحية وغير الحية كافة ،وهي مرتبطة ببعضها البعض ارتباطا وثيقا4 "، "، أما العناصر الحية مثل النباتات ،والحيوانات ،والحشرات والحيوانات غير المرئية مثل الجراثيم ، أما العناصر غير الحية فمثل الماء ،والأكسجين ،والرياح ومكونات التربة والرطوبة وهذه العناصر كلها مرتبطة ارتباطا وثيقا ببعضها البعض.

2.2 أصل رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية.

رعاية البيئة لها أصل وجذور في الشريعة الإسلامية وأصولها ، ويبرز ذلك من خلال استقراء آي القرآن الكريم ،وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء القرآن زاخرا بالحديث عن الأرض التي تعتبر المكون الأساسي للبيئة ، و الحديث على ما فوق سطحها ،من جبال وسهول ونباتات ، ومياه وحيوانات ، وما يحيط بها من كواكب وأجرام ، تارة امتنانا ، وتارة للتفكر والتدبر ، وتارة أخرى للتدليل

[1]- جسم محمد المعيوف ، الحماية الجنائية للبيئة ،في تشريعات مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، دراسة تأصيلية ،بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير ،جامعة نايف للعلوم الأمنية ،كلية الدراسات العليا ، قسم العدالة الجنائية ،1425-1426هه،السعودية، ص32.

[2]- ابن عطية بوعبد الله ، التكييف المقاصدي للبيئة مجلة الحضارة الإسلامية ،مجلة علمية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية – جامعة وهران- العددان 24-25 ، نوفمبر 2014م .

[3]- يوسف القرضاوي ، رعية البيئة في شريعة الإسلام ، دار الشروق القاهرة ، سنة 1968م ، ط 1 ، ص12.

[4]- محمد عودات ،النظام البيئي والتلوث ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ،الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر ،سنة 2000م ، ص7.

على وجود الله وترسيخ الإيمان به .فهذه الآيات كلها تبرز قيمة البيئة في الإسلام ومكانتها عند الله ما يستوجب من الإنسان رعايتها وذلك للمحافظة عليها من ناحية الوجود بتنميتها و إصلاحها ،و من ناحية العدم بنهي وزجر كل من يعتدي عليها ،ويضر بها ولعل المقصد من ذلك كله هو تحقيق مصلحة الإنسان الذي يعيش وسط هذه البيئة.

2.2 .1 اهتمام القرآن الكريم بالبيئة .

لقد تحدث القرآن الكريم على البيئة باعتبارها من خلق الله ، تشترك مع الإنسان في الخلق والتسبيح بحمده ، والسجود له ، وربط عناصر البيئة بالإيمان بالله تعالى ، حيث يقول الله تعالى " خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ".1 فقد بين الله تعالى للإنسان أنه شريك للأرض وما عليها وما يحيط بها من أحياء وجمادات في الخلق وأن جميع المخلوقات الأخرى خلقت وسخرت للإنسان للانتفاع بها وليس لتدميرها أو الإضرار بها. ويقول الله تعالى :" تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " 2. ويقول الله تعالى أيضا :" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ "3 ، وقوله تعالى :" وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم " 4. وقوله تعالى " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ."5 ويقول الله تعالى "، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا"6 .

---

[1] – سورة النحل آيات 4...7.

[2] – سورة الإسراء آية 44.

[3] – سورة الحج آية 18.

[4] – سورة الأنعام آية 38.

[5] – سورة إبراهيم أية 34.

[6] – سورة الأعراف آية 56.

فهذه الآيات وغيرها كثير تبين علاقة الإنسان بالبيئة فهو شريك لها في الخلق ، وان كل مخلوقات الله أمم أمثالنا ،وهي تسجد لله و تسبح بحمد الله ،و أن الله سخر للإنسان كل ما خلقه في الأرض والسموات من شمس وقمر وانهار وأنعام ،مبينا للإنسان نعم الله التي لا تعد ولا تحصى و أن موارده في الكون غزيرة ولكن المشكلة تكمن في الإنسان الظلوم الكفور1 ، وان الله ينهى عن الإفساد في الأرض قل أو كثر بعد صلاح قلّ أو كثر ،ومن الإفساد تغوير الماء المعين ،وقطع الشجر المثمر إضرار ، وبسفك الدماء والهرج في الأرض 2 وبالإشراك في الأرض والعصيان فيها 3 ،ولعل من العصيان في الأرض تدمير البيئة و الاعتداء عليها واستنزاف مواردها لأن الإضرار بها يعتبر إضرار بالإنسان الذي يعيش وسطها وينعم بمنافعها.

2.2 2.رعاية البيئة في السنة النبوية الشريفة.

يبرز اعتناء الشريعة الإسلامية بالبيئة من خلال حث النبي صلى عليه وسلم على المحافظة على البيئة من جانب الوجود وذلك بالتشجير والغرس ، وإحياء الأراضي الموات، و اعمارها ،والمحافظة عليها من جانب العدم من خلال النهي عن كل ما يضر بمكونات البيئة وعناصرها.

أ- المحافظة على البيئة من جانب الوجود.وتتمثل فيما يلي :

- **الحث على التشجير والغرس.**

فعن أبي أيوب الأنصاري ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ رَجُلٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ قَدْرَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِ ذَلِكَ الْغِرَاسُ.4 ،وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ "5

---

[1]- يوسف القرضاوي ، رعاية البيئة في شريعة الإسلام ،المرجع السابق ، ص32.

[2]- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح ،الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط3 ،1964 م ،ج7 ، ص226.

[3]- الطبري ، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق أحمد محمد شاكر، ج12 ، مؤسسة الرسالة ،ط1 ،سنة 2000م ،ص 487.

[4]- مسند الإمام أحمد ، تحفيقق شعيب الأرنؤوط ،عادل مرشد ...،مؤسسة الرسالة ، ج 38 ، ط 1 ، سنة 2001م ،ص503.

[5]- مسلم بن الحجاج ،المسند الصحيح المختصر ، باب فضل الغرس والزرع ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،ج3 ، ص 1188.

وعن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم إن قَامَت السَّاعَة وبيد أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ.1

وهذه الأحاديث نستنبط منها ضرورة تنمية البيئة وتقويتها ،بزيادة التشجير والغرس فيها ،لينتفع بها الطير والحيوان والإنسان ،مما يساهم في المحافظة على التوازن البيئي.

- **الحث على إحياء الموات من الأرض و إعمارها.**

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ مِنْهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ "، وَقَالَ ابْنُ أَبِي بُكَيْرٍ: " مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً، فَهِيَ لَهُ 2. وإحياء الموات عند مالك إجراء العيون، وحفر الآبار، والبنيان، والحرث، وغرس الأشجار3 ، وتشجيعا لخدمة الأرض و إعمارها ،قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ ، قَالَ عُرْوَةُ: قضَى بِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلاَفَتِه.4

- **الحث على نظافة المحيط :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَال، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ،شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.5 وهذا يدل على على أن من أفاضل الأعمال عند الله الاعتناء بالبيئة والحرص على إصلاحها .

ب-**المحافظة على البيئة من جانب العدم : وتتمثل في ما يلي :**

- **النهي عن تعذيب الحيوان وقتله عبثا.**

---

[1]- رواه أحمد أيضًا عن وكيع عن حماد بن سلمة ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد إسناده صحيح ، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد ،الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ،تحقيق ،عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ،دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط3 ،2000م ،ج7 ، ص263.

[2]- حديث صحيح، وهذا إسناد على شرط مسلم. ، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ،تحقيق شعيب الارنؤوط ، مرجع سابق ،ج23 ،ص 136 .

[3]- ابن بطال أبو الحسن ،شرح صحيح البخارى لابن بطال ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض ،ط2 ،2003م ،ج6 ،ص 476.

[4]- البخاري ، صحيح البخاري / بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا، تحقيق ،محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة ،ط1 ،1422هه ، ج3 ، ص106.

[5]- صحيح مسلم ، باب شعب الإيمان.ج1 ، المرجع السابق ، ص63.

عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ :عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ.1 ،وعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ قَالَ:سَمِعْتُ الشَّرِيدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا، عَجَّ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا وَلَمْ يَقْتُلْنِي مَنْفَعَةً2 ،والحديث دليل قوي على احترام كل ذي روح من الطير والحيوان ومنع قتله لغير حاجة ولا منفعة معتبرة ،كما يرشد إلى المحافظة على موارد الثروة وعدم تبديدها باللهو والعبث ،ي لغير منفعة اقتصادية.3 وقال رسولُ الله ،صلَّى الله عليه وسلم: لولا أن الكلابَ أُمةٌ من الأمم لأمرتُ بقتْلِها، فاقتُلوا منها الأسودَ البَهيم4" ، يقول الخطابي5: معناه أنه كره إفناء أمة من الأمم، وإعدام جيل من الخلق حتى يأتى عليه كله، كله، فلا يبقي منه باقيه. لأنه ما من خلق لله تعالى إلا وفيه نوع من الحكمة، وضرب من المصلحة ، وإذا كان الأمر على هذا ولا سبيل إلى قتلهن كلهن، فاقتلوا شرارهن، وهي السود البُهم، وأبقوا ما سواها، لتنتفعوا بهن في الحراسة.

- **النهي عن عدوى الحيوانات الصحيحة:**

وعن ابي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:لاَ تُورِدُوا المُمْرِضَ عَلَى المصِح.6 الممرض الذي كان له له إبل مرضى و المصح صاحب الصحاح وهو نهي للممرض أن يسقي ويرعى إبله مع إبل المصح لئلا يقع

---

[1]- صحيح مسلم ، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي ، ج4 ، المرجع السابق.

[2]- صحيح ابن حبا ن ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، ذكر الزجر عن ذبح المرء شيئًا من الطيور عبثًا الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط1 ، 1988م ، ج 13 ، ص214.

[3]- يوسف القرضاوي ، رعاية البيئة في شريعة الاسلام ، مرجع سابق ،ص89.

[4]- إسناده صحيح. وأخرجه ابن ماجه ،والترمذي، والنسائي و الترمذي قال : حديث حسن صحيح.وهو في "مسند أحمد" ، و"صحيح ابن حبان ، ينظر سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق ، تحقيق شعَيب الأرنؤوط ، محَمَّد كامِل قره بللي ،كتاب الصيد ، باب في اتخاذ الكلب للصيد ، دار الرسالة العالمية ، ط1 ،2009م ، ج4 ، ص 467.

[5]- سنن ابو داوود ، ج4 ، المرجع نفسه ، ص 467.

[6]- صحيح البخاري ، باب لا عدوى ،ج 7 ، المرجع السابق ، ص139. / وفي رواية لمسلم " لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ ".صحيح مسلم ، باب لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول، المرجع السابق.

في العدوى ، أو لأن ذلك من الأسباب العادية للمرض فلا بد من النهي عنه[1].وفيه دليل على ضرورة رعاية البيئة الحيوانية .

- **النهي عن الاعتداء على النباتات والأشجار:**

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رأسَهُ في النارِ".[2] سئل أبو داود، عن معنى هذا الحديث، فقال: هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدرةً في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم، عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها، صوّب الله رأسه في النار[3].وإذا كان هذا الوعيد لمن يقطع سدرة يستضل بها ابن السبيل والبهائم ،فما القول لمن يقوم بحرق الغابات وقطعها وقتل جذورها بالمواد السامة ،فيحرم الإنسان من مواردها ومنافعها.فلا شك أن وعيده أشد.

- **النهي عن تلويث الماء**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ، ثُمَّ يُتَوَضَّأَ مِنْهُ ".[4] فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الدائم الذي لا يجري كالغدران ، والخزانات ،والموارد التي يستسقى منها الناس لئلا يلوثها عليهم ،لأنها سبب في انتشار الأمراض والأوبئة[5].وذا كان النبي قد نهى عن تلويث المياه بالتبول في الماء الدائم ، فإن النهي قد يكون اشد إذا تعلق الأمر بتلويث البحار والأنهار بما تخلفه الصناعات ، والبواخر ،من نفايات سامة والحروب من مواد مشعة قد تفتك بالثروة الحيوانية المائية ،وبالتالي يعود ضررها على الإنسان. وعن معاذِ بن جبل، قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "اتَّقُوا المِلاعِنَ الثلاثةَ: البَرازَ في المَوارِدِ، وقارِعَةِ الطَريقِ، والظّلّ" .[6]

والملاعن الثلاثة أي التي تجلب اللعن ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلك قضاء الحاجة في طريق الناس إلى الماء ، و في الطريق التي تقرعها الأقدام أي وجه الطريق ،وفي ظل الناس الظل الذي يستظل به الناس

---

[1]– السندي أبو الحسن، حاشية السندي على سنن ابن ماجه ، دار الجيل – بيروت، بدون ط ،ج2 ،ص363.

[2]– سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق ، باب في قطع السِّدْرِ، – ، ج7 ، ،ص 523. أخرجه أحمد في "مسنده" ، والبخاري في "التاريخ الكبير، وابن حبان في "صحيحه" ،والطبراني في "المعجم "الكبير" .

[3]– سنن أبي داود ،ج7 ، المرجع نفسه ،ص 525.

[4]– مسند الامام أحمد ،المرجع السابق ،تحقيق شعيب الارنؤوط ، ج16 ، ص248.

[5]– البسام عبد الله بن عبد الرحمان ، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ، ترقيم وتبويب وتخريج الاحاديث محمد صبحي حسن الحلاق ، ج1 ، مكتبة الارشاد ، ط8 ، 1994م ، ص30.

[6]– سنن أبي داود ، باب المواضع التي نُهي عن البول فيها، ج7 ، المرجع السابق ،ص21.

ويتخذونه مقيلا[1]، مثل ظل الشجرة، وظل الجدار، ومثله المشمس في الشتاء، وهو المكان الذي يجلس فيه الناس في الشمس في الشتاء، لما فيه من إفساده عليهم وتنجيسه.

- **النهي عن تبذير المياه والإسراف فيها:**

عن أبي نَعامة أنَّ عبدَ الله بنَ مُغفَّل سمع ابنَه يقول: اللهم إنِّي أسألُكَ القَصرَ الأبيَضَ عن يمينِ الجنَّة إذا دخلتُها، فقال: أيْ بُنَيَّ، سَلِ اللهَ الجنَّةَ، وتعوَّذ به مِنَ النَّار، فإني سمعتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إنَّه سيكونُ في هذه الأمَّةِ قومٌ يَعتَدونَ في الطُّهور والدُّعاء ".2 ،وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَرَّ بِسَعْدٍ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: "مَا هَذَا السَّرَفُ؟ " فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ".3

ويستفاد من هذين الحديثين ضرورة المحافظة على الثروة المائية، وعدم جواز استنزافها.

3. البعد المقاصدي لرعاية البيئة.

إن المستقرئ لآي القرآن الكريم يدرك أن البيئة بمختلف أنواعها جامدة كانت أو حية ، ترتبط ارتباط وثيقا بالمقاصد الكبرى من خلق الله للإنسان ، وهي توحيد الله و إفراد العبودية له ،ثم خلافته في أرضه و إعمارها. كما ترتبط البيئة بالمقاصد الخمس الضرورية التي هي مدار حياة الإنسان في الدنيا والآخرة ، ولابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا.

1.3 ارتباط رعاية البيئة بمقاصد الله من المكلفين

تتمثل مقاصد الله من المكلفين في توحيد الله وعبادته ، وفي استخلاف الله في الأرض وإعمارها ،وهذه المقاصد الكبرى المرجوة من الإنسان لا تنفك عن البيئة التي يعيش فيها .

---

[1]– شرح سنن أبي داود ، أبو محمد محمود بن حسين الغيتابى،تحقيق بو المنذر خالد بن إبراهيم،ج1 مكتبة الرشد ،الرياض ،ط1 ،سنة 1999م ،ص102.

[2]. سنن أبي داوود ، باب الإسراف في الماء ، ج 1 ، ص 71.

[3]– سنن ابن ماجه ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْقَصْدِ فِي الْوُضُوءِ وَكَرَاهَةِ التَّعَدِّي فِيهِ ، إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة وحُيي بن عبد الله المِعافري، قاله البوصيري في "مصباح الزجاجة" ، سنن ابن ماجه تحقيق الأرنؤوط ، عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله ،ط 1 ، سنة 2009م ، ج1 ، ص272..

3 .1.1 ارتباط رعاية البيئة بمقصدي التوحيد والعبادة .

أ- مقصد التوحيد و ورعاية البيئة :

من مقاصد الله من المكلفين توحيده وعبادته ،يقول الله تعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ "1 ،أي ما خلقتهم إلا لآمرهم بالعبادة والتوحيد2 ، فقد دعا الله الإنسان إلى توحيده وإفراد العبودية له انطلاقا من البيئة التي يعيش فيها ، حيث دعاه الله إلى التأمل والتفكر في جميع المخلوقات المكونة للبيئة التي يعيش فيها ، سواء كانت بيئة جامدة أو بيئة حية بما فيها الإنسان نفسه ، حيث يقول الله تعالى : " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ "3 ، ويقول تعالى أيضا : " وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ "4 ، فقد استعمل الله تعالى مكونات البيئة وعناصرها ،وعلى رأسها الإنسان و الأرض والآفاق كدليل على استحقاق توحيد ربوبيته و الوهيته ، كما نجد الله تعالى في آيات أخرى يعرض على الإنسان الكون كله بما فيه الإنسان والحيوان والنباتات وما في الأرض من بحار وجبال وأنهار وما فوقها من أفلاك من شمس وقمر ونجوم وهو المعبر عنه قرآنيا بملكوت السموات والأرض5 فيقول الله تعالى في سورة النحل : خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ "6 حيث يعرف الله خلقه حجته عليهم في توحيده، وأنه لا تصلح الألوهية إلا له خلق ربكم أيها الناس السموات والأرض بالعدل وهو الحقّ منفردا بخلقها لم يشركه في إنشائها وإحداثها شريك ولم يعنه عليه معين، فأنى يكون له شريك7 ، وبعد تذكير الله تعالى في نفس السورة الإنسان الذي هو جزء من هذا الكون (البيئة) ، أصل خلقه ،في قوله تعالى "خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ "8، ينتقل إلى

---

[1]- سورة الذاريات ،آية 56.

[2]- أبو منصور الماتريدي تفسير الماتيريدي ، تحقيق ،مجدي باسلوم دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ،ط1 ، 2005م ، ج9،ص395.

[3]- سورة فصلت ،53.

[4]- سورة الذاريات 20-21.

[5]- مصطفى البغا ، بحوث في نظام الإسلام ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ، 1982-1983.، ص15.

[6]- سورة النحل ، آية 3.

[7]- الطبري ، ج17 ،ص167.

[8]- سورة النحل آية 4.

إلى ذكر عناصر البيئة الأخرى بالتفصيل كالأنعام في قوله تعالى "وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ "1 ،وسائر الحيوانات الأخرى في قوله تعالى "وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ "2 ،وعنصر الماء ومنافعه في الشراب والشجر والزرع وكل الثمرات في قوله تعالى "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ "3 ،ويذكر الشمس والقمر والنجوم ، والبحار والأنهار في قوله تعالى :" وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ"4 وقوله تعالى "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ،وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُون "5 ،مذكرا سبحانه وتعالى كل مرة أن كل ذلك مسخر للأجل للأجل الإنسان6 ليتفكر، ويتذكر ،ويشكر الله ،ويهتدي إلى وحدانيته تعالى.

ب- مقصد العبادة ورعاية البيئة :

ويشمل كل ما يحب الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة7 ، ولعل رعاية البيئة بإصلاحها وتنميتها ، ودفع كل ما يفسدها ،أو يدمرها بشتى الوسائل والآليات يعتبر من اجلّ أنواع العبادات إذا جعل الإنسان نصب عينيه رضا الله وطاعته ،والذي يأمره دائما بالإصلاح في الأرض وينهاه عن الإفساد فيها مصداقا لقوله تعالى :" وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا. "8

[1] – سورة النحل أية 5.

[2]– سورة النحل أية 8.

[3]– سورة النحل آية 10-11.

[4] – سورة النحل آية 12.

[5]– سورة النحل آية 14-15.

[6]– البغوي ، أوبو محمد البغوي ،معالم التنزيل في تفسير القرآن ،تفسير البغوي ،تحقيق محمد عبد الله النمر ..،دار طيبة للنشر ،ط4 ،1997م ، ج5 ، ص12.

[7]– ابن تيمية ،العبودية ، تحقيق محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ،بيروت ،ط7 ،205م ،ص44.

[8]– سورة الأعراف آية 56.

3 .1. 2 ارتباط رعاية البيئة بمقصدي الاستخلاف و الإعمار.

أ- مقصد الاستخلاف و رعاية البيئة.

ويشير إلى ذلك قوله عز وجل " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ " 1وخلافة الله إنما تتم بإقامة الحق والعدل ونشر الخير والصلاح 2 . ويشير إلى ذلك أيضا قوله تعالى ""يا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ " ،فقد جعل الله الإنسان وبني آدم بما كرمه على سائر المخلوقات من صفات وامتيازات خلائف الأرض لقوله تعالى " وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض "3 "3 ،أي مستخلفين عليها ، يتصرفون وينتفعون بها ويسخرونها لمصالحهم ومنافعهم4 ، وألقى إليهم مقاليدَ مقاليدَ التَّصرفِ فيها وسلَّطهم على ما في الأرض وأباح لهم منافعها ، أو يجعلهم خلفاءَ ممَّن قبلهم من الأممِ ويورثهم ما بأيديهم من متاعِ الدُّنيا ليشكُروه بالتَّوحيدِ والطَّاعةِ.5 فالمتمعن لهذا المقصد يدرك أنه مرتبط ارتباطا وثيقا بمدى شكر الإنسان على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ،ومن بينها شكر الله على نعمة البيئية التي يعيش وسطها ومما تزخر به من خيرات بالمحافظة عليها ،والاعتناء بمكوناتها.

ب-مقصد إعمار الأرض ورعاية البيئة

وهذا المقصد يدل عليه قوله تعالى "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" ، واستعمركم أي جعلكم عمارًا في الأرض ،6 وسكّانها ، وقد يدخل في العمارة الزراعة والصناعة والبناء 7 ، والعمارة متنوعة إلى إلى واجب وندب ومباح ومكروه كما يقول العلماء8.

---

[1]- سورة البقرة 30.

[2]- القرضاوي ، رعاية البيئة ، المرجع السابق ، ص23.

[3]- سورة الأنعام 165.

[4]- مصطفى البغا ، مرجع سابق ، ص29.

[5]- أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ج7 ،ص155.

[6]- أبو حيان محمد بن يوسف ، البحر المحيط في التفسير ،تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر، بيروت ،ط سنة 1420هه ،ج6 ، ص175.

[7] - محمد رشيد بن علي رضا ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 1990 م ،ج12 ، ص101./ البحر المحيط المرجع السابق ،ج6 ،ص175.

[8]- الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي – بيروت ج2 ،ط3 ، 1407 هـ ، ص407.

وعليه فإن مقصد إعمار الأرض يقتضي من الإنسان أن يزرع الأرض ويغرسها ويبني فيها ما شاء من الإنشاءات ،ويقتضي منه أن يصلحها وأن يعمل على إحيائها ،والبعد عن كل إفساد أو إخلال بمكوناتها.

2.3 ارتباط رعاية البيئة بالمقاصد الضرورية الخمس.

والمقاصد الضرورية ،كما يعرفها الإمام الشاطبي هي التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد و تهارج وفوت حياة ، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين .وقد بين الشاطبي أن الحفظ لها يكون بأمرين : أحدهما ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود ، والثاني ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم .1 ثم يبين مجموع الضروريات في حفظ الدين ، والنفس ،والنسل ،والمال ،والعقل .وهذه الأصول الخمس مراعاة في كل أمة.2 وكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمس فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة3 .ولا .ولا شك أن إفساد البيئة فيه تفويت لمصلحة الانتفاع بمواردها وعناصرها، ولذلك نهى الله تعالى عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها في قوله تعالى :" وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا".4 قال أبو حيان حيان وهذا نهى عن إيقاع الفساد في الأرض، وإدخال ماهيته في الوجود بجميع أنواعه، من إفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان.وهي المقاصد الخمس الضرورية.5

1.2. 3 ارتباط رعاية البيئة بحفظ الدين: فالدين يقتضي من الإنسان أن يكون خدوما للبيئة ،ويقتض منه عدم الاعتداء عليها بالإفساد والدمار، لأن ذلك يتنافى وتوحيد الله تعالى ، و حسن عبادته ويتنافى وشكر نعم الله عليه ، ولذلك رغب الله تعالى في شكر نعم الله وحذر من الكفر بها بقوله "لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ "6 ، وأمر الإنسان بالعدل والإحسان ونهى عن الفحشاء والمنكر

---

[1]- الشاطبي ،أبي إسحاق الشاطبي ،الموافقات في أصول الشريعة ،المجلد 1 ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 3 ،2003م ، ص7.

[2]- الشاطبي ، نفس المرجع ، ص8.

[3]- الغزالي ، أبو حامد ، المستصفى ، تحقيق ،محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ،ط1 ، 1993م ،ص 174.

4- سورة الأعراف 56.

5- محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ،محاسن التأويل ، تحقيق ، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه ، بيروت ، ط1 ، 1418 هـ ، ج5 ،ص 104.

6 - سورة ابراهيم ،07.

في اجمع آية في القرآن الكريم وهي قوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "1، والعدل الإنصاف، والإحسان إتقان الأعمال بل والتطوع التطوع بالزائد عن الفرائض، ومقابلة الخير بأفضل منه، والشر بأقل منه ،والْفَحْشاءِ كل قبيح قولا أو فعلا ، أي المذموم وَالْمُنْكَرِ ما أنكره الشرع واستقبحه العقل السليم كالكفر والمعاصي .2 ، وعليه فإن الاعتداء على البيئة أصل حفظ الدين لأنه يتنافى وتعاليمه التي تأمرنا بالإنصاف ، تنهانا عن كل فعل قبيح.

3. 2 .2 ارتباط رعاية البيئة بحفظ النفس:وحفظ النفس يقتضي عدم الاعتداء عليها بالقتل سواء عمدا أو بالتسبيب ،ومن القتل بالتسبيب الاعتداء على حياة الإنسان بتسميم عناصر البيئة التي يعيش فيها كتلويث الماء ،والأتربة والهواء ، وسائر المخلوقات التي تعيش في البحار والأنهار ،ولذلك جرم الله القتل حفاظا على النفس من جانب العدم بقوله تعالى "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"3. ولا شك أن الاعتداء على عناصر البيئة والقضاء على توازنها يعتبر من الفساد في الأرض الذي قد يصيب الإنسانية قاطبة، والاعتناء بالبيئة ورعايتها بإصلاحها وتنميتها وعدم استنزاف مقدراتها يعتبر إحياء للإنسانية والبشرية جمعاء لان البيئة ارث مشترك بينها.

3 .2 .3 ارتباط رعاية البيئة بحفظ النسل: وحفظ النسل من أعظم أسباب البقاء، ومن أسباب عمارة الأرض4 وعليه فإن كل ما يقطع استمرار النسل وبقاؤه كالاعتداء على سنن الكون والفطرة التي منها سنة سنة الزواج بين الرجل و المرأة يعتبر من المحرمات المنهي عنها ،ولذاك نهي الله عن فاحشة اللواط لأنها تدمر أهم مكون من مكونات البيئة الطبيعة التي خلقها الله على الفطرة السليمة وهو الإنسان.كما يعتبر استنزاف موارد البيئة وتلويث عناصرها والإخلال بتوازنها ،وعدم تعهدها بالإصلاح والتنمية ، مساس بحقوق الجيل الإنساني القادم واستمراره5.

1- سورة النحل 90.

2- د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط2، 1418 هـ ،ج14 ، ص212.

3- المائدة 32.

4- محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري موسوعة الفقه الإسلامي بيت الأفكار الدولية ط1 ،2009م. ج5 ، 102.

5- القرضاوي ، المرجع السابق ، ص49.

3 .2. 4 ارتباط رعاية البيئة بحفظ العقل: فالعقل هو مناط التكليف ،بحيث به يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات كالنبات والحيوانات، فبما أوتي من عقل وحواس نامية يمكن أن يصل إلى كثير من حقائق الكون ،ويبقى متصلا به من خلال الاستثمار والانتفاع والتسخير لمنافعه ومصالحه ،وكذلك من خلال الاعتبار والتأمل والتفكر في الكون وما فيه1.

3. 2 .5 ارتباط رعاية البيئة بحفظ المال.

والمال يتناول كل ما فيه مصلحة مشروعة للإنسان ولا يجوز أن ينصرف لفظ المال عند الإطلاق على النقد أو إلى الذهب أو إلى المتاع أو الحيوان بل هو عام يستغرق بعمومه جميع ما ينتفع به شريطة ثبوت هذه المنفعة بإذن الشرع أو بالتجربة العلمية 2، و إضافة الله تعالى المال لنفسه في قوله تعالى "وآتوهم من مال الله الذي آتاكم " ، دلالة على أن للمال مكانة كبرى في الشريعة الإسلامية فهو عصب الحياة ومن الضروريات الخمس التي عليها قوام الناس ومعاشهم ،حيث يقول تعالى" وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَاءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا"3 .وحفظ البيئة يقتضي منا المحافظة على المال من جانب الوجود بتنميته و استثماره فيما يخدم مقاصد الشرع من الخلق ، والمحافظة عليه من جانب العدم بردع كل من يسعى إلى إتلاف موارده واستنزافها بغير وجه حق.

4. خاتمة:

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية برعاية البيئة منتهجة فلسفة جامعة وشاملة ، تبدأ من المقاصد الكبر من الخلق وارتباط الإنسان بهذا الكون وما يتعين عليه القيام به تحقيقا لمقاصد الشرع من الخلق.كما أرست الشريعة الإسلامية الأسس التي يقوم عليها مدار حياة الإنسان وهي كلها ترتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة التي يعيش فيها، والإنسان باعتباره جزء لا يتجزأ من هذا الكون وباعتبار مكانته بين سائر المخلوقات فقد دعته الشريعة الإسلامية إلى استثمار كل ما في هذا الكون لمصالحه ومنافعه.ولعل أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الورقة البحثية يمكن إجمالها في ما يلي:

[1]- مصطفى البغا ، بحوث في نظام السلام ، مرجع سابق ،ص 30.

[2]- أحمد محمد الباز ،أحكام المال وضوابط الانتفاع والتصرف به في الفقه الإسلامي ،اشرف ومراجعة سليمان الأشقر ،دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ،ط1 ،1998م ، ص37.

[3]- سورة النساء 5.

- أن الإنسان جزء من هذا الكون (البيئة) وله ارتباط وثيق بمكوناته و أن الله جعل عناصر الكون كلها بما فها الإنسان دليل على وحدانيته واستحقاق إفراد العبودية له ما يقتضي معه إدراك قيمة البيئة وما تزخر به من موارد ومنافع.
- أن الإنسان بما ميزه الله بميزة العقل والحواس عن سائر مخلوقات الكون، مدعو لاستثمار كل ما هو موجود في هذا الكون لمصالحه.
- أن أحكام الشريعة الإسلامية نهت عن الفساد في الأرض بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق، ومصالح المكلفين.
- ان رعاية البيئة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالكليات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية لمراعاتها فالنهي عن إيقاع الفساد في الأرض ، وإدخال ماهيته في الوجود بجميع أنواعه، من إفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان.
- أن الشريعة الإسلامية دعت إلى تعهد البيئة بالإصلاح والتنمية من خلال التشجير والتثمير وكل ما يحافظ على بقاء عناصرها و استمرارها للأجيال.

وبناء على هذه النتائج يمكن تقديم المقترحات التالية:

- ضرورة ربط المحا فضة على البيئة بصلة الإنسان بهذا الكون (البيئة)، وذلك لإدراك الإنسان حقيقة هذا الكون ونواميسه التي خلقها الله كلها بقدر.
- تحسيس الإنسان بأن كل مخلوقات الكون (البيئة)، مسخرة لمصالحه ومنافعه ما يقتضي استثمار ذلك بقدر بما ميزه الله بالعقل عن سائر المخلوقات .
- وجوب إيجاد الآليات اللازمة والضرورية للمحافظة على البيئة من حيث الوجود ،وذلك بإصلاحها وتنميتها ،ومن حيث العدم بردع وزجر كل من يعمد إلى إتلاف البيئة و استنزاف مواردها. لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1- القرطبي ، أبو عبد الله ،(1964 م) ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط3 ، ،ج7 ، دار الكتب المصرية – القاهرة

2- ابن بطال أبو الحسن ، شرح صحيح البخارى لابن بطال ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، الرياض ،ط2 ، ،ج6 . دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية.

3- ابن تيمية ،تقي الدين أبو العباس ، (2005م) ،العبودية ، تحقيق محمد زهير الشاويش ، ،ط7 ، المكتب الإسلامي ،بيروت ، لبنان.

4- ابن حبان ، محمد بن أحمد بن حبان (1988م) ، صحيح ابن حبا ن ، ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، ،ط1 ، ، ج 13 . مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان.

5- ابن ماجه ، أبو عبد الله ، سنن ابن ماجة ،(2009م) تحقيق الأرنؤوط ، عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله ،ط 1 ، سنة ، ج1 . دار الرسالة العالمية ،بيروت ،لبنان.

6- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على ،(سنة 1414هه) ، لسان العرب، ج1 ، ،ط3 ، دار صادر – بيروت

7- أبو السعود ، محمد بن محمد ،(1425هـ) ،تفسير أبي السعود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، لبنان ،ج7

8- أبو حيان محمد بن يوسف(سنة 1420هه)، البحر المحيط في التفسير ،تحقيق صدقي محمد جميل ، ،ط ،ج6 . دار الفكر، بيروت ، لبنان

9- أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق ،(2009م)، سنن أبي داود ، ، تحقيق شعَيب الأرنؤوط ، محَمَّد كامِل قره بللي ، ، ط1 ، ، ج4 ، دار الرسالة العالمية ،بيروت لبنان.

10- أبو محمد محمود بن حسين الغيتابى (سنة 1999م) ،شرح سنن أبي داود ،تحقيق بو المنذر خالد بن إبراهيم،ج1 ، ،ط1 ، مكتبة الرشد ،الرياض

11- أبو منصور الماتريدي ، (2005)تفسير الماتيريدي ، تحقيق ،مجدي باسلوم ، لبنان ،ط1 دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.

12- أحمد بن حنبل ،مسند الإمام احمد ، (سنة 2001م) ،تحفيقق شعيب الأرنؤوط ،عادل مرشد ..، ، ج 38 ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان.

13- أحمد محمد الباز ،(1998م).أحكام المال وضوابط الانتفاع والتصرف به في الفقه الإسلامي ،اشرف ومراجعة سليمان الأشقر ،دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ،ط1 .

14- البخاري ، صحيح البخاري ، (1422هـ)، تحقيق ،محمد زهير بن ناصر الناصر، ،ط1 ،هـ ، ج3 ، دار طوق النجاة ،جدة ، السعودية.

15- البسام ،عبد الله بن عبد الرحمان ، (ط8) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ،تخريج الأحاديث محمد صبحي حسن الحلاق ، ج1 ، ، مكتبة الإرشاد ،صنعاء ، اليمن.

16- البغوي ، أبو محمد البغوي ، (1997م) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ،تفسير البغوي ،تحقيق محمد عبد الله النمر ..، ،ط4 ، ، ج5 ، دار طيبة للنشر ،القاهرة ، مصر.

17- التويجري ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله (2009م) ، موسوعة الفقه الإسلامي ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، السعودية ،ط1 ،ج5 .

18- الجواهري ،أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، (1987 م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،ج1 ، ،ط4 ، دار العلم للملايين – بيروت.

19- الحلاق ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم ،(1418 هـ) ، محاسن التأويل ، تحقيق ، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه ، بيروت ، ط1 ، ، ج5 .

20- الزحيلي ، وهبة بن مصطفى ،(1418 هـ) ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط2، ،ج14 .

21- الزمخشري ، ابن عمر ،(1407 هـ) .الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي – بيروت ، لبنان ، ج2 ،ط3 ،

22- السندي ، أبو الحسن،(1994م).حاشية السندي على سنن ابن ماجه ، ، بدون ط ،ج 2 ،دار الجيل – بيروت ، لبنان.

23- الشاطبي ،أبي إسحاق الشاطبي ،(2003م) ،الموافقات في أصول الشريعة ،المجلد 1 ، ج2 ، ط 3 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.

24- ضياء الدين أبو عبد الله ، (2000م) ،الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ،تحقيق ،عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ،ط3 ، ،ج7 ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

25- الطبري ، محمد بن جرير، (سنة 2000م) ،جامع البيان في تأويل القرآن ،تحقيق أحمد محمد شاكر، ج12 ،ط1 ، مؤسسة الرسالة ،بيروت لبنان.

26- الغزالي ، أبو حامد ،(1993م).المستصفى ، تحقيق ،محمد عبد السلام عبد الشافي ، ،ط1 ، دار الكتب العلمية .بيروت لبنان.

27- محمد رشيد بن علي رضا ،(سنة 1990 م) ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة مصر ،ج12 .

28- محمد عودات ، (سنة 2000م)، النظام البيئي والتلوث ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ،الإدارة العامة للتوعية العلمية والنشر ،السعودية.

29- مسلم بن الحجاج ،المسند الصحيح المختصر ، باب فضل الغرس والزرع ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ، لبنان ،ج3 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

30- مصطفى البغا ،(1982-1983) ،بحوث في نظام الإسلام ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ، سوريا.

31- يوسف القرضاوي ، (سنة 1968م)، رعاية البيئة في شريعة الإسلام ، ، ط 1 ، دار الشروق القاهرة

الأطروحات:

المعيوف ،حسن محمد ، (1425-1426هه)،.الحماية الجنائية للبيئة ،في تشريعات مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، دراسة تأصيلية ،بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير ،جامعة نايف للعلوم الأمنية ،كلية الدراسات العليا ، قسم العدالة الجنائية ، السعودية.

المقالات:

ابن عطية بوعبد الله ،(2014م) ، التكييف المقاصدي للبيئة مجلة الحضارة الإسلامية ،مجلة علمية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية – جامعة وهران- العددان 24-25 ،.ص71-97.

مواقع الانترنيت:

مؤتمر ستوكهلم للبيئة 1972. من 5 إلى 16 جوان 1972

https://political-encyclopedia.org/dictionary/